الدرس الحادي عشر :

لو - لولا - لوما

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، وبعد ..

فقد فرغنا في الدروس السابقة من الحديث في حالة الجزم وآخرها حديثُ أسلوب الشرط والجزاء ، والنحويون يكملون حديث الشرط والجزاء بالحديث عن (أما) لأنها تنوب عن أداة شرط وفعل شرط ثم بالحديث عن أدوات الشرط الامتناعي ، وقد تقدم الحديث مفصلاً عن (أما) ، كما تقدم الحديث عن (لو) وتقسيمها إلى امتناعية تفيد التعليق في الماضي ، ومرادفةٍ لـ(إن) الشرطية ، وبقيت أحكام تتعلق بـ(لو) نذكرها في هذا الدرس ثم ننتقل إلى الحديث عن لولا ولوما . فنقول وبالله التوفيق .

أحكام (لو)[1] :

يقول ابن مالك رحمه الله :

(لو) حرف شرط في مضي ويقل ... إيلاؤها مستقبلاً لكن قبل
وهي في الاختصاص بالفعل كـ(إنْ) ... لكنَّ (لو) (أنَّ) بها قد تقترن
وإن مضارع تلاها صرفا ... إلى المضي نحو : لو يفي كفى

وفي قوله هذا تقسيم لو إلى مفيدة للتعليق في الماضي ، وهو الكثير فيها ، وإلى مفيدة للتعليق في المستقبل ، وهو قليل لكنه مقبول ، وفيه أيضًا بيان

(1) انظر التصريح 2/ 255 وما بعدها والأشموني 4/ 35 وما بعدها .

لأحكام (لو) ، وفيما يلي تفصيل ذلك :

الحكم الأول : أنها سواء أكانت امتناعية أو بمعنى (إن) تختص بالفعل فلا تدخل إلا على الفعل لفظًا أو تقديرًا ، أما دخولها على الفعل لفظًا فقد تقدمت له أمثلة كثيرة ، وهو نحو قولك : لو زارني زيد لأكرمته ، ولو لم يزرني زيد لأهنته .

وأما دخولها على الفعل تقديرًا فضابطه أن يليها اسم مرفوع معمول لمحذوف يفسره ما بعده ، أو اسم منصوب معمول لمحذوف يفسره ما بعده ، أو خبر لـ(كان) محذوفة ، فالأول كقول حاتم الطائي : لو ذات سوار لطمتني ، فهذا على تقدير : لو لطمتني ذات سوار ، ومثله قول عمر رضي الله عنه : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ، وهو على تقدير : لو قالها غيرك ، والجواب هنا محذوف تقديره ، لعددتها ، وكذلك الجواب محذوف في قول حاتم وتقديره : لهان عليَّ ذلك ، ومن ذلك قول الشاعر :

أخلاي لو غيرُ الحمام أصابكم عتبت ولكن ما على الدهر معتب

أي : لو أصابكم غير الحمام ، ومثله قول الشاعر :

لو غيركم علق الزبير بحبله أدى الجِوارَ إلى بني العوام

أي : لو علق غيركم .

والثاني وهو المنصوب بفعل يفسره ما بعده ، مثل : لو زيدا رأيتُه أكرمته .

والثالث وهو خبر كان المحذوفة مثل : التمس ولو خاتمًا من حديد ، واضرب ولو زيدًا ، وألاماء ولو باردًا ، وقول الشاعر :

لا يأمن الدهر ذو بغي ولو ملكًا جنوده ضاق عنها السهل والجبل

فالتقدير : ولو كان الملتمس خاتمًا ، ولو كان المضروب زيدًا ، ولو كان الماء باردًا ، ولو كان الباغي ملكًا .

وجعل منه بعضهم قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ ﴾ على أن التقدير : لو كنتم تملكون ، فلما حذفت (كان) : انفصل الضمير ، ورد هذا بأن المعهود بعد (لو) حذف كان واسمها لا حذف كان وحدها ، فهذه

الآية تصلح مثالاً لدخول (لو) على مرفوع بمضمر يفسره ما بعده ، والأصل : لـو تملكون ، والضمير فيه مستتر ، فلما حذف انفصل الضمير .

وهذا الذي قررته هو مذهب الجمهور ، وذهب ابن عصفور إلى أن (لـو) لا ينبغي أن يليها إلا فعل ظاهر ، وأما المضمر فلا ينبغي أن يليها إلا في ضـرورة أو نادر كلام ، ومثل للنادر بقول حاتم المذكور .

قال الأشموني : (والظاهر أن ذلك لا يختص بالضرورة والنـادر ، بـل يكـون في فصيح الكلام كقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾ حـذف الفعل فانفصل الضمير) .

الحكم الثاني : إذا ولى (لو) جملة اسمية كما في قول عدي بن زيد :

لـو بغـير المـاء حلقـي شـــرق ... كنت كالغصان بالماء اعتصاري

وقول الآخر :

لو في طهية أحلام لما عرضوا ... دون الذي أنـا أرميـه ويرمينـي

فللنحويين فيه ثلاثة أقوال : الأول أن ذلك محمول على ظاهره ، وأن الجملة الاسمية وليت (لو) على سبيل الشذوذ ، وهذا قول الجمهور .

الثاني : أن ذلك على إضمار (كـان) الشانيـة ومعـها ضمـير الشـأن اسـمها ، والجملة خبر عنها ، وهذا قول ابن خروف .

الثالث : أنه على إضمار فعل ، والتقدير في بيت عدي : لو شرق حلقي بغير الماء هو شرق ، وهذا قول أبي علي الفارسي ، ويقدر في البيت الثاني على قياسه : لو ثبت في طهية أحلام .

الحكم الثالث : أن (لو) تفارق (إن) الشرطية في وقوع (أنَّ) بعدها كثيرًا كمـا في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾ ، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا ﴾ ، ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَـا عَلَيْهِمْ ﴾ ، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ ﴾ وقول امرئ القيس :

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشـة ... كفاني ولم أطلب قليل من المال

وأمثلة ذلك كثيرة ، وموضع (أن) وصلتها عند جميع النحويين في هذه الأمثلة ونحوها موضع رفع ثم اختلف في إعراب المصدر المؤول منهما ، فقال سيبويه وجمهور البصريين مرفوع بالابتداء فهو مبتدأ ، وهذا المبتدأ لا يحتاج إلى خبر عند كثيرين منهم ؛ لأن صلة (أن) مشتملة على مسند ومسند إليه ، وقال بعضهم : له خبر مقدر محذوف ، ويقدر مقدمًا ، وتقديره : ثابت ، أي : ولو ثابت إيمانهم ، ولو ثابت صبرهم ، ولو ثابت فعلهم ، وهكذا ، فهو على حد قوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ﴾ وقال ابن عصفور : بل يقدر في هذه الأمثلة مؤخرًا على الأصل ، ويشهد لذلك أنه أتى مؤخرًا بعد (أما) في قول الشاعر :

عندي اصطبار وأما أنني جزع يوم النوي فلوجد كاد يبريني

فإن قوله (فلوجد كاد يبريني) خبرُ المصدر المؤول من قوله (أنني جزع) ، وحكم (لو) كحكم (أما) وعلى هذا يكون تقدير الخبر : ولو إيمانهم ثابت ، ولو صبرهم ثابت ، وهكذا .

وذهب الكوفيون والمبرد والزجاج والزمخشري وغيرهم إلى أن المصدر المؤول من أن وصلتها فاعل بـ(ثبت) مقدرًا ، والتقدير : ولو ثبت إيمانهم ، ولو ثبت صبرهم .. وهكذا ، والدال على هذا الفعل المقدر هو (أنّ) لدلالتها على الثبوت ، وهذا شبيه بما أجمع عليه النحويون من أن قول العرب : (لا أكلمه ما أن في السماء نجما) على تقدير : ما ثبت أن في السماء نجما ، حيث جعلت (أن) وصلتها في موضع رفع على الفاعلية بـ(ثبت) مقدرًا .

وابن هشام رجح قول هؤلاء لما فيه من إبقاء (لو) على اختصاصها بالفعل ، لكن قال المصرح : (يبعده أن الفعل بعد (لو) وغيرها من أدوات الشرط لم يحذف إلا مفسرا بفعل بعده إلا كان ، والمقرون بـ(لا) بعد (إنْ) أي إلا في نحو : ﴿ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ ﴾ واضرب ولو زيدًا ، وافعل هذا وإن لا قتلتك .

وقد أوجب الزمخشري في (أنَّ) الواقعة بعد (لو) أن يكون خبرها جملة فعلية ليكون الفعل فيها عوضًا عن الفعل المحذوف ، وقال غيره من النحويين :

لا يسلم ذلك على إطلاقه بل هو مسلم في الخبر المشتق لا في الخبر الجامد، ومن أمثلة الخبر الجامد قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ ﴾ وقول الشاعر :

ما أطيب العيش لو أن الفتى حجر تنبو الحوادث عنه وهو ملموم

وقول الآخر :

ولو أنها عصفورة لحسبتها مسوَّمة تدعو عُبيدًا وأزْنَما

ورد ابن مالك ما أوجبه الزمخشري مطلقًا بدليل أن الخبر جاء اسما مشتقًا كما في قول لبيد :

لو أن حيا مدرك الفلاح أدركه ملاعب الرماح

وقول أبي العوَّام بن كعب بن زهير :

ولو أن ما أبقيت منى معلق بعود ثُمام ما تأوّد عودها

وقول صخر بن عمرو :

ولو أن حيا فائتُ الموت فاته أخو الحرب فوق القارح العَدَوان

والفرس القارح : الذي عمره خمس سنين ، والعدوان : الشديد العدو والجري .

الحكم الرابع : أنها إذا كانت للتعليق في الماضي فالغالب أن يليها الماضي لفظًا ومعنى نحو : (لو زارني لأكرمته) أو معنى فقط نحو : (لو لم يزرني لأهنته) ، فإن وليها مضارع أول بالماضي كما في قوله تعالى : ﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ أي : لو أطاعكم ، ومثله قول كثير عزة :

لو يسمعون كما سمعت حديثها خروا لعزة ركعًا وسجودًا

فهذا في تأويل : لو سمعوا .

وإذا كانت للتعليق في المستقبل ، ووليها فعل ماض لفظًا أول بالمستقبل معنى كما في الآية : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾ فهي على تأويل : إن يتركوا ذرية ضعافًا .

وإذا تلاها مضارع في تلك الحالة تخلص للاستقبال كما في قول الشاعر :

لا يلفك الراجوك إلا مظهرًا خلق الكرام ولو تكون عديمًا

فهذا على تأويل : إن تكن عديمًا ، أي : فقيرا ، في المستقبل فلا تظهر أمام الراجين إلا الكرم .

الحكم الخامس : أنها لغلبة دخولها على الماضي لم تجزم ولو أريد بها معنى (إن) الشرطية ، فلهذا رفع الفعل المضارع بعدها في قوله : (ولو تكون عديمًا) مع أنها مستعملة فيه للتعليق في المستقبل ، وزعم بعض النحويين أن الجزم بـ(لو) مطرد على لغة لبعض العرب ، ونُقل عن ابن الشجري وجماعة أن الجزم بها جائز في ضرورة الشعر ، واستدلوا على ذلك بقول الشاعر :

لو يشأ طار به ذو ميعة لاحق الآطال نهد ذو خصل

وبقول الآخر :

تامت فؤادك لو يحزنك ما صنعت إحدى نساء بني ذهل بن شيبانا [1]

والجمهور على أنها لا تجزم الفعل المضارع ، ولو كانت مرادفة لـ(إن) في إفادة التعليق في المستقبل ، وأن هذين البيتين يحمل الإسكان فيهما على غير الجزم كما تقدم حديث ذلك في عوامل الجزم ، وهذا مما تفارق فيه (لو) إن الشرطية .

الحكم السادس : يأتي جواب (لو) على ثلاث صور :

الصورة الأولى : أن يكون ماضيًا معنى ، وهو المضارع المجزوم بلم كما في الأثر : (نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه) وكما في قولنا : لو زارني علي لم أهنه ، وهذا المضارع المجزوم بلم يجب تجرده من اللام ؛ لأن اللام لا تدخل على ناف إلا (ما) .

الصورة الثانية : أن يكون ماضيًا وضعا مثبتًا ، والغالب عليه دخول اللام كما في قوله تعالى : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴾ وقد تترك هذه اللام كما في قوله

(1) انظر الجني الداني ص286 ، 287 .

تعالى : ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴾ ، قال بعض النحويين في بيان الفرق بين الآيتين : هذه اللام تسمى لام التسويف ؛ لأنها تدل على تأخير وقوع الجواب عن الشرط وتراخيه عنه ، كما أن إسقاطها يدل على التعجيل ، أي أن الجواب يقع عقيب الشرط بلا مهلة ، ولهذا دخلت في ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴾ وحذفت في ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴾ ، أي لوقته في المزن من غير تأخير ، والفائدة في تأخير جعله حطامًا وتقديم جعله أجاجًا تشديد العقوبة ، أي إذا استوى الزرع على سوقه وقويت به الأطماع جعلناه حطامًا كما قال الله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ﴾ .

الصورة الثالثة : أن يكون ماضيًا وضعا منفيًا بـ(ما) ، وهذا الجواب يغلب عليه تجرده من اللام ، واقترانه بها قليل ، فمن الأكثر قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ وعلى هذا تقول : لو جاءني ظالم ما أكرمته ، ومن القليل قول الشاعر :

ولو نعطي الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الليالي

والشرط هنا مؤول بالماضي : أي ولو أعطينا الخيار ، ويدخل في هذه الصورة قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما أخرجه البخاري : (لو كان لي مثل أحد ذهبا ما يسرني أن لا يمر على ثلاث وعندي منه شيء) لأنه على تقدير : ما كان يسرني ، فهو على حذف كان و(لا) في قوله (أن لا يمرَّ) زائدة .

ولجواب (لو) صورتان أخريان نادرتان :

الأولى : عبر عنها ابن هشام بقوله : قد ورد جواب (لو) الماضي مقرونًا بقد ، وهو غريب كقول جرير :

لو شئت قد نقع الفؤادُ بشربة تدعُ الحوائم لا يجُدْن غليلاً [1]

والثانية : أنه قد يأتي جملة اسمية مقرونة باللام كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ

(1) انظر مغني اللبيب 1/ 272 .

آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ ﴾ صرح بذلك ابن الناظم في شرح التسهيل فقال : (إن اللام في (لمثوبة) جواب (لو)[1]) وعلل ذلك الزمخشري بأن جعل الجواب جملة اسمية يدل على استمرار مضمون الجزاء ، قال في الكشاف : فإن قلت : كيف أوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب (لو) قلت : لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب إلى الرفع في (سلام عليكم) لذلك[2] .

وقيل في الآية : إن الجملة مستأنفة ، واللام فيها لام الابتداء وليست الواقعة في جواب (لو) وإلى ذلك ذهب أبو حيان في (البحر)[3] ، وقيل : هي جواب لقسم مقدر ، والتقدير : والله لمثوبة ، وبذلك صرح ابن مالك في بعض نسخ التسهيل بقوله : (وإذا وليها جملة اسمية فهي جواب قسم)[4] وارتضى ذلك ابن هشام في المغني حيث قال : (والأولى أن تكون لام (لمثوبة) لام جواب القسم بدليل كون الجملة اسمية ، وأما القول بأنها جواب (لو) وأن الاسمية استعيرت في مكان الفعلية ففيه تعسف[5]) .

وفي هذين الوجهين الأخيرين ـ وهما الاستئناف وجواب القسم ـ تكون (لو) للتمني ولا تحتاج إلى جواب على الأصح .

ونظير هذه الآية في مجيء الجواب جملة ، الجملةُ المقرونةُ بالفاء في جواب (لو) في قول الشاعر :

قالت سلامة لم يكن لك عادةٌ ... أن تترك الأعداء حتى تُعْذَرا
لو كان قتلٌ يا سلام فراحة ... لكن فررت مخافة أن أوسرا

(1) شرح التسهيل من صنع ابن الناظم ج4 ، ص100 .
(2) الكشاف 1/ 302 .
(3) البحر المحيط 1/ 335 .
(4) التسهيل ص 241 .
(5) مغنى اللبيب 1/ 235 .

وقوله : (راحة) على هذا خبر لمبتدأ تقديره : فهو راحة ، فالجواب هنا جملة اسمية لا محل لها ، كما في الآية ، ويجوز جعل الجملة مستأنفة على تقدير : فالقتل راحة ، وأجاز ابن الناظم أن يكون الجواب في البيت محذوفًا ، والتقدير : لو كان قتل فراحة لثبتُ .

تنبيهان : الأول : ذكر صاحب رصف المباني أن (لو) لها أربعة أحوال :

أولها : تكون حرف امتناع لامتناع إذا دخلت على جملتين موجبتين نحو قولك : لو قام زيد لأحسنت إليك .

ثانيها : تكون حرف وجوب لوجوب إذا دخلت على جملتين منفيتين نحو قولك : لو لم يقم زيد لم يقم عمرو .

ثالثها : تكون حرف امتناع لوجوب إذا دخلت على جملة موجبة ثم منفية نحو قولك : لو يقوم زيد لما قام عمرو .

رابعها : تكون حرف وجوب لامتناع إذا دخلت على جملة منفية ثم موجبة نحو قولك : لو لم يقم زيد لقام عمرو[1] .

وقد ذكر المرادي هذه الأحوال الأربعة ونسبها إلى بعض النحويين ثم قال معقبًا : وهذا لا تحقيق فيه ، بل هي في ذلك كله حرف امتناع لامتناع ، فتأمل ذلك[2] .

التنبيه الثاني : قد يحذف جواب (لو) للعلم به كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى .. ﴾ وتقدير الجواب : لكان هذا القرآن ، ومثله قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا .. ﴾ أي لرأوا أمرًا عظيمًا .

---

(1) رصف المباني ص 358 .

(2) الجني الداني ص 277 .

أحكام (لولا)

أولاً : أوجه استعمالها :

ذكر ابن هشام في المغنى أنها تستعمل على أربعة أوجه[1] :

الوجه الأول : أن تدخل على جملتين اسمية ففعلية لربط امتناع الثانية بوجود الأولى نحو : لولا زيد لأكرمتك ، أي لولا زيد موجود ، و(لولا) تدل في هذا الوجه على امتناع شيء لوجود غيره ، فهي تدل على امتناع جوابها لوجود تاليها ، ومن شواهدها قوله تعالى : ﴿ لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ ، ومنه الحديث : (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) لأن التقدير : لولا مخافة أن أشق على أمتي ، فامتنع الأمر بالسواك لوجود المخافة .

وذكر المرادي أن (لولا) في هذا الاستعمال حرف امتناع لوجوب ، ثم قال : (وبعضهم يقول : (لوجود) بالدال ، ويلزم على عبارة سيبويه في (لو) أن يقال : لولا حرف لما كان سيقع لانتفاء ما قبله)[2] وقال صاحب رصف المباني : (الصحيح أن تفسيرها بحسب الجمل التي تدخل عليها ، فإن كانت الجملتان بعدها موجبتين فهي حرف امتناع لوجوب نحو قولك : لولا زيد لأحسنت إليك ، فالإحسان امتنع لوجود زيد ، وإن كانتا منفيتين فهي حرف وجوب لامتناع نحو : لولا عدم قيام زيد لم أحسن إليك ، وإن كانتا موجبة ومنفية فهي حرف وجوب لوجوب نحو : لولا زيد لم أحسن إليك ، وإن كانتا منفية وموجبة فهي حرف امتناع لامتناع نحو : لولا عدم قيام زيد لأحسنت إليك)[3] .

واختلف النحويون في توجيه رفع الاسم الواقع بعد (لولا) في هذا الاستعمال بعد اتفاقهم على أنها فيه مختصة بالأسماء ، فأكثر النحويين على أنه مرفوع بالابتداء سواء أكان ظاهرًا نحو : لولا زيد لأكرمتك ، أم ضميرًا نحو :

---

(1) مغنى اللبيب 1/ 272 ، وما بعدها .

(2) الجني الداني ص601 ، 602 .

(3) رصف المباني ص362 ، 363 .

لولا أنت أكرمته ، و(لولا) حينئذ حرف ابتداء ، وما بعدها مرفوع على أنه مبتدأ ، واختلفوا في خبره فذهب جمهورهم إلى أنه محذوف واجب الحذف مطلقًا ، وأنه لا يكون إلا كونا مطلقًا ، فالتقدير : لولا زيد كائن أو موجود ، ولولا أنت كائن أو موجود ، ولا يجوز عندهم أن يكون كونا مقيدا ، فلا يقال : لولا زيد قائم ، بل يجعل القيد مبتدأ فيقال : لولا قيام زيد ، فيكون الخبر كونًا مطلقًا على ما هو عليه .

وذهب الرماني وابن الشجري والشلوبين وابنُ مالك إلى أن الخبر يكون كونا مطلقا كالوجود والحصول فيجب حذفه ، ويكون مقيدا كالقيام والقعود فيجب ذكره إن لم يعلم ، فالكون المطلق نحو : لولا زيدٌ لأكرمتك ، والكون المقيد يجب إثباته إذا لم يدل عليه دليل كما في قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها : (لولا قومك حديثو عهد بكفر لبنيت الكعبة على قواعد إبراهيم) وعلى هذا يجب عندهم : لولا زيد يلومني لجئت إليك ، فإن دل في الكلام دليل على الكون المقيد جاز إثباته وجاز حذفه كما في قولهم : لولا أنصار زيد حموه ما سلم ، ويجوز : لولا أنصار زيد ما سلم ؛ لأن لفظ (أنصار) يدل على الحماية ، ففي الكلام دليل على الكون المقيد ، ومما يجري على هذا المذهب قول أبي العلاء المعري :

يذيب الرعبُ منه كلَّ عضبٍ فلولا الغمد يمسكُه لسالا

فالخبر هنا كون مقيد وهو (يمسكه) ، وذكره جائز ؛ لأن في الكلام دليلاً عليه ، وهو الغمد ؛ لأن وظيفة الغمد هي إمساك السيف ، وعلى هذا يجوز أن لا يذكر .

قال المرادي : (وذهب الكوفيون إلى أن الاسم المرفوع بعد (لولا) ليس بمبتدأ ثم اختلفوا ، فقال الكسائي : مرفوع بفعل مقدر تقديره : لولا وجد زيد ، وقال بعضهم : هو مرفوع بـ(لولا) لنيابتها مناب (لو لم يوجد) حكاه الفراء عن بعضهم ، ورده بأنك تقول : لولا زيد لا عمرو لأتيتك ، ولا يعطف بـ(لا) بعد النفي ، وقال الفراء : هو مرفوع بـ(لولا) نفسِها لا لنيابتها مناب (لو لم يوجد) وقال صاحب رصف المباني : ويرفع عند الكوفيين على تقدير فعل نابت (لا)

منابه ، فإذا قلت : لولا زيد لأكرمتك و (لولا أنتم لكنا مؤمنين) فالمعنى : لو انعدم زيد ولو انعدمتم ، وهذا هو الصحيح لأنه إذا زالت (لا) ولي (لو) الفعلُ ظاهرا أو مقدرا ، وإذا دخلت لولا كان بعدها الاسم فهذا يدل على أن (لا) نائبة مناب الفعل ، وقد اتفق الطائفتان على أن (لولا) مركبة من (لو) التي هي حرف امتناع لامتناع و(لا) النافية ، وكل واحدة منهما باقية على بابها من المعنى الموضوعة له قبل التركيب)[1] .

وقد رد ابن هشام هذه الأقوال كلها في المغني وقال : (ليس المرفوع بعد لولا فاعلاً بفعل محذوف ، ولا بلولا لنيابتها عنه ، ولا بها أصالة خلافاً لزاعمي ذلك بل رفعه بالابتداء)[2] .

وإذا وقع بعد (لولا) في هذا الاستعمال ضمير في مكان الاسم الظاهر فحقه أن يكون ضمير رفع نحو : لولا أنت ، ولولا أنا ، ولولا نحن ، وقد سمع قليلاً ، لولاي ولولاك ولولاه ، وهذا المسموع يدل على قسم آخر لـ(لولا) الامتناعية ، فلولا الامتناعية قسمان : الأول : تكون فيه حرف ابتداء إذا جاء بعدها اسم ظاهر مرفوع أو ضمير رفع منفصل كما في الأمثلة المتقدمة .

والثاني : تكون فيه حرف جر إذا وليها الضمير المتصل للنصب والجر كالياء والكاف والهاء في لولاي ولولاك ولولاه ، ومن شواهد هذا القِسْم قول يزيد ابن الحكم :

وكم موطن لولاي طحت كما هوى ... بأجرامه من قلة النيق منهوى

وطحت : معناه هلكت ، وقُلة النيق : ما استدق من رأس الجبل العالي .

ومنها قول الراجز : لولاكما لهلكت نفساهما

و(لولا) في هذا القسم جرف جر عند سيبويه والجمهور ، وهي جارة للضمير

(1) الجني الداني ص601 ، 602 ، وانظر رصف المباني ص362 ، 363 .

(2) مغنى اللبيب 1/ 273 .

مختصة به ، والضمير مجرور بها ؛ لأن الياء وأخواتها لا يعرف وقوعها إلا في موضع نصب أو جر ، والنصب في (لولاي) ونحوه ممتنع ؛ لأن الياء لا تنصب بغير اسم إلا ومعها نون الوقاية وجوبًا أو جوازًا ، فيتعين كونها في موضع جر . والصحيح أن (لولا) في تلك الحالة حرف جر لا يحتاج إلى متعلق ، وموضع المجرور بها رفع بالابتداء والخبر محذوف ، فهي في هذا مثل حرف الجر الزائد الذي لا يتعلق بشيء .

وذهب الأخفش والكوفيون إلى أن (لولا) في لولاي ولولاك ولولاه حرف ابتداء ، والضمير المتصل بها في موضع رفع بالابتداء ، ولولا غير جارة ، لكن العرب أنابوا الضمير المخفوض المتصل عن الضمير المرفوع المنفصل ، كما أنابوا ضمير الرفع مكان ضمير الخفض في قولهم : ما أنا كأنت ولا أنت كأنا ، قال صاحب رصف المباني : (والأظهر عندي من هذين القولين قول الأخفش لوجهين : أحدهما أنا إذا جعلنا لولا حرف جر يجيء حرفان يعملان في معمول واحد ، وذلك غير موجود في كلامهم .

والوجه الثاني : أنا إذا جعلنا (لولا) حرف جر تحتاج إلى ما تتعلق به إذ ليست زائدة كالباء في بحسبك ، وليس في الكلام ما تتعلق به ولا ما تقدر متعلقة به ، ولا يحتج بـ(رب) لأنها ملازمة للخفض ، وفي الكلام الداخلة عليه ما تتعلق به بعدها ، هذا مع أن (لولا) لها صدر الكلام ولا تحتاج إلى كلام قبلها تكون جوابًا له ، وهذا كله معدوم في حرف الجر مع أنها حرف ابتداء في أكثر مواضعها فالحكم عليها بأنها حرف خفض بالظن ضعيف ،فالأولى أن يحكم عليها بالبقاء على كونها حرف ابتداء عند من يرى ذلك ، أو على أن يحذف الوجود قبل الضمير ويبقى على خفضه .. إذ المعنى موجود فيها في كلتا الحالتين ، والخروج بالضمير له نظير ، والحرفية ليس لها نظير)[1] . ومعنى كلامه الأخير أنه يمكن في نحو : لولاي تقدير : لولا وجودي ، وكذا في لولاك : لولا وجودك وفي لولاه :

(1) رصف المباني ص364 ، 365 .

لولا وجوده ، وفي كل ذلك حُذف المضافُ ، وبقى المضاف إليه في محل جر لكونه مبنيًا ، و(لولا) حرف ابتداء داخلة على المبتدأ كما تكون مع الاسم الظاهر .

الوجه الثاني من استعمال (لولا) : أن تكون للتحضيض والعرض فتختص بالمضارع أو ما في تأويله كما في قوله تعالى : ﴿ لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ والتحضيض طلب بحث ، وهو مبالغة الحض وهو الترغيب في الفعل ، يقال : حضه على كذا : أي رغبه في فعله ، فإذا أريد تأكيد الترغيب والمبالغة فيه قيل : حضّضه تحضيضًا ، والعرض : طلب برفق ولين ، ومن شواهد العرض قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلا تَشْكُرُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ﴾ والفعل الماضي في هذه الآية في تأويل المضارع ، ويجوز في هذا الاستعمال أن يلي (لولا) اسم معمول لفعل مقدر نحو : لولا زيدًا أكرمته ، ولولا زيدًا عاقبته ، أو معمول لفعل مؤخر نحو : لولا زيدًا أكرمت ، ولولا زيدًا عاقبت .

الوجه الثالث من أوجه استعمالها : أن تكون للتوبيخ والتنديم فتختص حينئذ بالفعل الماضي نحو : لولا ضربت اللص ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ﴾ ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا ﴾ إلا أن الفعل أخِّرَ ، ومنه قول جرير :

تعدُّون عَقْر النيب أفضلَ مجدكم بني ضوطري لولا الكميَّ المقنعا

والفعل في هذا البيت مضمر ، وتقديره : لولا عددتم الكميَّ المقنعا ، قال ابن هشام : (وقول النحويين : (لولا تعدون) مردود إذ لم يرد أن يحضهم على أن يعدوا في المستقبل بل المراد توبيخهم على ترك عده في الماضي ، وإنما قال : تعدون على حكاية الحال ، فإن كان مراد النحويين مثل ذلك فحسن[1]) .

(1) مغنى اللبيب 1/ 274 ، 275 .

و(لولا) المختصة بالفعل في هذين الوجهين قد تفصل من الفعل بـ(إذ) معمولة له كما في الآية ﴿ وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾ أو بإذا معمولة له كقوله تعالى : ﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴾ أو بجملة شرطية معترضة كقوله تعالى : ﴿ فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا ﴾ المعنى : فهلا ترجعون الروح إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين .

الوجه الرابع من استعمالها : أن تكون للاستفهام ، وأكثر النحويين لا يذكر هذا الاستعمال ، وقد جعل منه الهروي قوله تعالى : ﴿ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ ومعنى الاستفهام في الآيتين لا يناسب المقام ، قال ابن هشام : والظاهر أن الأولى للعرض ، وأن الثانية مثل ﴿ لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾[1] .

فهذه الأوجه الأربعة التي ذكرها ابن هشام ، وقد بقي فيها وجهان آخران :

أولهما : ذكره المرادي في الجني[2] بقوله : وزعم علي بن عيسى والنحاس أن (لولا) تأتي بمعنى (ما) النافية ، وحملا على ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ ﴾ وهذا الوجه نقله ابن هشام بعد الأوجه الأربعة عن الهروي وقال : الظاهر أن المعنى على التوبيخ أي : فهلا كانت قرية واحدة من القرى المهلكة تابت عن الكفر قبل مجيء العذاب فنفعها ذلك ، وهو تفسير الأخفش والكسائي والفراء وعلي بن عيسى والنحاس ، ويؤيده قراءة أُبيٍّ وعبد الله : (فهلا كانت) ويلزم من هذا المعنى النفي ، لأن التوبيخ يقتضي عدم الوقوع[3] .

والوجه الثاني : نفي عنه ابن هشام أن يكون من أقسام (لولا) وهو مجيؤها بمعنى (لولم) فتكون غير مركبة ، وهي التي في قول أبي ذؤيب :

---

(1) مغني اللبيب 1/ 274 ، 275 .

(2) الجني الداني ص608 .

(3) مغني اللبيب 1/ 275 .

ألا زعمت أسماء أن لا أحبـها فقلت بلى لولا ينازعني شغلي

فهي في البيت كلمتان ، وجواب (لو) محذوف ، والتقدير لولم ينازعني شغلي لزرتك ، وقد قيل : هي في البيت لولا الامتناعية ، و(أنْ) بعدها مضمرة ، والفعل صلة لها ، وقد ارتفع الفعل بسقوط (أن) فـهي (لـولا) التـي تختـص بالأسـماء ، ومحل (أن) وصلتها رفع بالابتداء ، فالتقدير : لولا منازعة شغلي لزرتك[1] .

أحكام (لو ما)

قال ابن هشام : (لوما) بمنزلة (لولا) تقول : لوما زيد لأكرمتك ، وفي التـنزيل ﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّـادِقِينَ ﴾[2] يشـير بذلـك إلـى أن (لـو مـا) تكون حرف امتناع لوجود فتختص بالأسماء ، ويرتفع الاسم بعدها بالابتداء كمـا في المثال ، وتكون حرف تحضيض فلا يليها إلا فعل أو معمول فعل ، وقد مثـل لذلك بالآية ، وحكم (لوما) في الاستعمالين كحكم (لولا) .

قال ابن هشام : وزعم المالقي أنها لم تأت إلا للتحضيض ، ويرده قول الشاعر :

لوما الإصاخة للوشاة لكان لي من بعد سخطك في رضاك رجاء [3]

أي لو كانت للتحضيض لما دخلت على الاسم المرفوع ؛ لأن التي للتحضيض تختص بالفعل .

ما يكون عليه الجواب مع (لولا) و (لوما) :

جواب (لولا) و (لوما) يكون على صورة جواب (لو) :

فيكون مضارعًا مجزومًا بـ(لم) نحو : لولا زيد لـم ينجـح عمـرو ، أو لومـا زيد لم ينجح عمرو .

---

(1) مغنى اللبيب 1/ 276 .

(2) المصدر السابق .

(3) المصدر السابق .

ـ ويكون ماضيًا مثبتًا مقرونًا باللام غالبًا نحو : لولا زيد لهلك عمرو ، ولوما زيد لهلك عمرو ، ومن غير الغالب خلوه من اللام كما في قول الشاعر : لولا زهير جفاني كنت منتصرًا) ، وقول الآخر : وكم موطن لولاي طحت .. البيت ، وتقول : لوما زيد هلك عمرو .

ـ ويكون ماضيًا منفيًا بـ(ما) مجردا من اللام غالبًا : نحو : لولا زيد ما نجح عمرو ، ولوما زيد ما نجح عمرو ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ وقول الشاعر :

لولا رجاء لقاء الظالمين لما ... أبقت نواهم لنا روحًا ولا جسدًا

وإذا دل على الجواب دليل جاز حذفه كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ أي : لعُجِّلَتْ لكم العقوبة .

■■■■■ خلاصة هذا الدرس ■■■■■

1- أن (لو) تختص بالجملة الفعلية ، وإذا وليها جملة اسمية فللنحويين فيها ثلاثة أقوال ، وأنها تفارق (إن) الشرطية في وقوع (أنَّ) بعدها كثيرًا ، وفيها خلاف بين النحويين في موضع المصدر المؤول بعدها ، وأن (لو) الامتناعية تختص بالدخول على الماضي ، و(لو) المرادفة لـ(إنْ) تحول ما بعدها إلى الاستقبال ، وأن (لو) لغلبة دخولها على الماضي لم تجزم ، وأن جواب (لو) يأتي على ثلاث صور وله صورتان أخريان نادرتان .

2- أن (لولا) تستعمل على أربعة أوجه ، وأنها إذا كانت امتناعية تكون حرف ابتداء أو حرف جر .

3- أن (لوما) بمنزلة (لولا) في الاستعمال ، وأن جوابها وجواب لولا له ثلاث صور كجواب (لو) .

•••••• أسئلة حول الدرس ••••••

س1: تدخل (لو) على الفعل تقديرًا ، فما ضابط ذلك ؟ اذكر أمثلة لمواضع ذلك .

س2: إذا ولي (لو) جملة اسمية . فما أقوال النحويين في توجيه ذلك ؟

س3: إذا وقعت (أنّ) بعد (لو) فما موقف النحويين من إعراب المصدر المؤول منها ومن صلتها ؟ وضح ما تقول بالمثال .

س4: لماذا لم تجزم (لو) ؟ وما أقوال النحويين في ذلك ؟

س5: ما الصور التي يأتي عليها جواب (لو) ؟ اذكر أمثلة لتلك الصور .

س6: هل يأتي جواب (لو) جملة ؟ اذكر أقوال النحويين في ذلك مع التمثيل .

س7: اذكر أقوال النحويين في تعريف (لو) الامتناعية مع الترجيح .

س8: اذكر الأوجه التي تستعمل بها (لولا) وبين دلالتها في كل وجه ، وما تختص بالدخول عليه مع التمثيل .

س9: هل تأتي (لولا) حرف جر ؟ اذكر أقوال النحويين في ذلك مع التوضيح بالمثال .

س10: ما معنى قول النحويين : (لوما) بمنزلة (لولا) ؟ وما صورة جواب كل منهما ؟ مثل لما تذكر .